معاني ((أو)) في شعر السياب

ظاهر محسن
كلية التربية–جامعة بابل

أو–حرف عطف يرد في العربية لمعانٍ عدَة أشهرها

1- التخيير[1] :وذلك نحو قولك :تزوج ليلى أو امها. فقد خيرته بينهما ولايجوز الجمع.وكثيراً ما تقع بعد الطلب.

2- الاباحة [2] :وذلك نحو قولك: جالس الفقهاء او النحاة، ونحو: تعلم الفقه او اللغة،أي: ذلك مباح لك فعله افراداً أو جماعاً، وهي تقع بعد الطلب.

يقول الدكتور عدنان محمد سلمان ((ويأتي التخيير والاباحة عند سيبويه في لفظ واحد أي ما جاء على التخيير يمكن ان نعتبره محمولاً على الاباحة، والذي يتحكم في التمييز بين هذين المعنيين انما هو ما يقصده المتحدث في كلامه، قال سيبويه:تقول أدخل على زيد او عمر او خالد ،أي لا تدخل على اكثر من واحد من هؤلاء وإن شئت جئت به على معنى أدخل على هذا الضرب من الرجال...))[3].

3–الشك[4]: وذلك نحو قولك:جاءني زيد او عمر،تريد أنَ الذي جاءك أحدهما، يقول ابن يعيش :((والأكثر في استعمال (أو) في الخبر أن يكون المتكلم شاكاً لا يدري ايهما الجائي))..))[5].

4–الابهام : وذلك نحو قول لبيد[6]:

تمنىَ ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

عقب ابن يعيش على بيت لبيد فقال: ((وقد علم لبيد أنه من مضر وليس من ربيعة وإنما أراد من إحداهما ... كأنه ابهم عليهما .. يعزي ابنتيه في نفسه بانه من احدى هاتين القبيلتين وقد فنوا ولابد أن يصير الى مصيرهم وإنما خص القبيلتين لعظمهما ولو زاد في الابهام لكان أعظم في التعزية))[7].

5–التقسيم [8]:نحو: الكلمة:اسم أو فعلُ أو حرفُ.

أما ((أو)) في شعر السياب فقد وردت ما يزيد على مئتين وثمانين مرةً، وكانت أكثر وروداً في مرحلته الثانية ((مرحلة الالتزام))[9]،إذ وردت في قصيدة واحدة من قصائد هذه المرحلة ((قصيدة المومس العمياء)) مايقرب من خمس وثلاثين مرةً. وقد جاءت ((أو)) في شعر السياب لمعانٍ عديدة هي:

1–الاباحة: وتعني((ترك المخاطب حراً في اختيار أحد المتعاطفين فقط، أو اختيارهما معاً والجمع بينهما إذا أراد))[10].والاباحة أكثر المعاني التي جاءت ((أو)) لها عند السياب إذ جاءت في شعره في اسلوبي الطلب والخبر.

أ–اسلوب الطلب: ذكر أغلب النحاة أن ((أو)) تأتي في اسلوب الطلب إما للتخيير وإما للاباحة[11].

وقد جاءت ((او)) لهذا المعنى في اسلوب الطلب عند السياب بشكل واسع.

نحو: إنها الريح فأملئي الريح ياجيكور بالضحك او نثار الورود[12].

فأباح الشاعر لجيكور بهذا الضرب من الاشياء(الضحك أو نثار الورود).

ونحو: واحمِ الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولاتحرفنَّ الخطأ عن طريقي[13].

فـ (أو) هنا تفيد الإباحة أي:احمي جراحي بهذا الضرب من الجوارح.

ونحو: آه لعلّ روحاً في الرياح[14]

هامت تمرُّ على المرافئ أو محطات القطار

أي: لعلّ روحاً منكِ تمرُّ على هذا النوع من الاماكن

ونحو: لو أن شمس المغرب الدامية[15]

تبتلُّ في شطيّه أو تشرقُ

لو أنّ أغصان الدجى تورقُ

أو يوُصدُ الماخور عن داخليه.

ب–في الخبر: قال ابن هشام : ((وذكر ابن مالك أنّ أكثر ورود ((أو)) للاباحة في التشبيه ... فلم يخصها بالمسبوقة بالطلب))[16]

وقد وردت ((أو)) بمعنى الاباحة في التشبيه عند السياب بكثرة.

نحو: عيناك غابتا نخيلٍ ساعة السحر[17]

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

ونحو: ضوء الأصيل يغيم كالحكم الكئيب على القبور[18]

وآه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتت شموع

ونحو: فكأنَّ قعقعة المنازل في اللظى نقر الدفوف[19]

أو وقع أقدام العذارى

ونحو: وكمن يحاذر أو يخاف[20]

فـ(أو) في هذه النماذج جاءت لمعنى الاباحة .

2–التخيير: وردت ((أو)) بمعنى ((التخيير)) في شعر السياب أقل من ورودها بمعنى ((الاباحة)).

نحو: جيكور مدّي لنا باباً فندخله[21]

أو سامرينا بنجمٍ فيه اضواء

فالشاعر يطلب من جيكور أحد الشيئين ولجيكور الخيار، إما أن تفتح له باباً فيدخله ويقصد بهذا العودة الى وطنه وإما أن تسامره بنجمٍ فيه اضواء، ويقصد بهذا الذكريات التي يراجعها ليلاً، ولايجوز الجمع بين الاثنين.

ونحو: يا إرث الجماهير[22]

تشظَّ الآن واسحق هذه الاغلال وكالزلزال

هزَّ النير أو فاسحقه واسحقنا مع النيرِ.

3– الشك: إن مجئ ((أو)) في الخبر المشكوك فيه يكون اقرب المعاني الى أصل وضعها [23] وأكثرما يكون استعمال ((أو)) في هذا المعنى ان المتكلم هو الشاك في الخبر وعلى السامع ان يحمل الكلام على شك المتكلم[24]. وقد استعمل السياب ((أو)) بهذا المعنى بكثرة.

نحو: ستجوع عاماً أو يزيد ولا تموت ففي حشاها [25]

حقد يؤرث من قواها.

فالشاعر شاك في المدة التي ستجوع فيها هذه المومس أسنةَ هي ام اكثر، لانه لا علم له كم ستجوع.

ونحو : وأقول سيأتي يوم من بعد شهور[26]

أو بعد سنين من السقم

أو بعد دهور!!

فأسير...أسير على قدمي

فالسياب لايعلم علم اليقين متى سيأتي هذا اليوم الذي يسير فيه على قدمه وإنما هو شاك في موعده بل في مجيئه.

ونحو: وكأنها درج الى الشهوات ،تزحمه ثغور[27]

حتى يهدَّم أو يكاد سوى بقايا من صخور

فالشاعر جاء بـ ((أو)) لمعنى الشك لانه لم يجزم بهدمه أو اقترابه من الهدم.وقد ذكر الحريري أنّ قولك ((ما أدري أسَلّمَ أو وَدَّع)) بمعنى التقريب[28]وهذا قريب من قول السياب((حتى يهدم أو يكاد))

4-الابهام: وهو أن تُخبّر عن شئٍ تعرفه بعينه ولكنك تذكر معه شيئاً آخر تقصد به أن تُبهم الامر على المخاطب[29] وقد وردت ((أو)) بمعنى اللإبهام بشكل واسع في شعر السياب

نحو: شخنوب* العازر قد بعثا[30]

حياً يتقافز أو يمشي

فشخنوب بُعثَ حياً وهو يمشي ولكن الشاعر جاء بلفظة ((يتقافز)) للتهكم الذي افاده الابهام أيضاً.

ونحو : آه لو أن السنين الخضر عادت،يوم كُنا[31]

لم نزل بعدُ فتيينِ لقبّلتُ ثلاثاً أو رباعا

لجأ السياب الى هذا الضرب من العطف لأنه اراد ان يقول إني سوف أُقَبِّلُ حبيبتي كثيراً فجاء بهذا الاسلوب ليدل على ذلك.

يقول السيد المرتضى معقباً على بيت لبيد الذي يقول فيه:

تَمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلاَّ من ربيعة أو مضر[32]

((وإنما حسن ذلك لأنّ قصده الذي اجرى اليه هو أن يخبر بكونه ممَّن يموت ويفنى ولا يخل به إجمال ما اجمل في كلامه،فأضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواءا أكان من ربيعة أم من مضر فموته واجب))[33]وإنما خص القبيلتين لعظمهما ولو زاد في الابهام لكان اعظم في التعزية[34].

ونحو: أين العراق؟ وأين شمس ضُحاه تحملها سفينة[25]

في ماء دجلة أو دجلة أو بُوَيبَ ؟ وأين أصداء الغناء

إنّ الشاعر يعلم أنّ بويب نهرٌ صغير يعبره على قنطرة من جذوع النخل فكيف تسير فيه سفينة ويقرنه بدجلة ولكنه جاء به للابهام.

5- التقسيم: تفيد ((أو)) معنى التقسيم ،فيقال [36] :الكلمة:اسم أو فعل أو حرف.

ويعد التقسيم بوساطة حروف العطف ظاهرةً منتشر في شعر السياب بشكل واسع جداً فكثيراً ما يُفصِّلُ الشاعر المجمل ويوضحه بأحد حروف العطف الثلاث (الواو(و(أو) و (الفاء).

وقد جاء استعمال السياب لحرف العطف (أو) في هذه الظاهرة قليلاً قياساً الى (الواو).

نحو: زهدتها بنا حفنةٌ من نضار[37]

خاتمٌ أو سوار، وقصرٌ مشيد

من عظام العبيد

فـ ((أو)) قسمت وفصلت النضار الى خاتم أو سوار ولم يعطف لفظة ((قصر)) بـ ((أو)) وعطفه ((بالواو)) لأنَّ القصر ليس من جنس النضار.

ونحو: يمتد امامي في اقصى اركان الدنيا.. في بحرٍ [38]

أو وادٍ أظلم أو جبلٍ عالٍ

فصَّلَ الشاعر ((أقصى أركان الدنيا)) ووضحها بحرف العطف ((أو)) إذ عطف بها الأشياء على بعضها وهي: ألبحر أو الواد أو الجبل العالي.

ونحو: ألا يكنَّ سوى بغايا أو حواضن أو إماء[39]

أو خادماتٍ يستبيح عفافهن المترفون

أو سائلاتٍ يشتهيهن الرجال المحسنون!!

يقسم الشاعر في هذا المقطع النساء الى بغايا أو حواضن أو إماء أو خادماتٍ أو أو سائلاتٍ ،وهو تقسيم يريد الشاعر أن يبين فيه الظلم الواقع على المرأة.

6-بمعنى ((الواو)): وقد قال بهذا المعنى لـ ((أو)) الكوفيون وكثيرٌ من البصريين[40] ،حتى عدّها أحد الباحثين المعاصرين مسألة غير خلافيةة خلافاً لصاحب كتاب الانصاف الذي خصها بالمسألة (67)، واحتج لرأيه وقال((إنّ من بين القائلين بها عدداً من النحاة من غير المنسوبين الى المدرسة الكوفية أمثال قطرب ،وأبي عبيدة، والاخفش، والجرمي وغيرهم واشتراك نحاة كوفيين وبصريين بمثل هذه الكثرة يخرجها من اطار الخلاف بين المدرستين[41])).

وقد وردت ((أو)) لهذا المعنى كثيراً .

نحو: ياللعراق! أكاد ألمحُ ،عبرَ زاخرةِ البحارْ[42]

في كل منعطفٍ، ودربٍ أو طريق أو زقاق

ونحو: خير البلاد سكنتموها بين خضراءٍ وماء[43]

الشمس نور الله، تغمرها بصيفٍ أو شتاء

ونحو: مترقباً ميلاد أ فروديت ليلاً أو نهاراً[44]

ونحو: مازال صرف الدهر ابقى امَّهُ

تأسو الجراح بكفِّها أو تضمد[45]

إنّ ((أو)) جاءت في هذه النماذج بمعنى ((الواو)) التي تفيد مطلق الجمع ،فالكلام في المقطع الاول يكون: أكاد ألمحُ عبر زاخرةِ البحار في كل منعطفٍ ودربٍ وطريق وزقاق.

وفي المقطع الثاني يكون الكلام الشمس نور الله تغمرها بصيفٍ وشتاء. وفي الثالث:مترقباً ميلاد افروديت ليلاً ونهاراً. وفي الرابع يكون الكلام: تأسو الجراح بكفها وتضمد.

7- بمعنى ((بل)) فلا يكون بعدها الا الجمل.

وقد وردت بهذا المعنى قليلاً في شعر السياب.

نحو: أحببتُ فيك عراق روحي أو حببتُك أنت فيه[46]

ونحو: ليت السفائن لاتقاضي راكبيها عن سفارِ[27]

أو ليت أنّ الأرض كالافق العريض بلا بحارِ

فـ (أو) هنا جاءت للاضراب بمعنى (بل).

8- بمعنى ((إلاَّ)) في الاستثناء.

يقول ابن هشام((وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار ((أن)) نحو قولك: ((لأقتُلنه أو يُسْلِمَ)) ونحو قول الشاعر:

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كعوبَها أو تستقيما[48]

وقد وردت ((أو)) بهذا المعنى قليلاً عند السياب.

من ذلك قوله: ولن يظلَّ من قواي ما يظل من خرائب البيوت[49]

لا أنشق الضياء، لا أعضعض الهواء

لا أعصر النهار أو يمصني المساء

أراد: إلاّ أن يمصني المساء. أو حتى يمصني المساء

وقوله: لا ولا قيسَ بعد ما لفَّه الليل من الارض واحتوى من حدود[50]

بالذي قاس حافة الساعةِ القوراء في قرصها ذراعاً حديد

أو يفيضّ الظلام؟ إلا لكي تندكّ ((جيكور)) بالسلاح الجديد

أي: إلا أن يفيض الظلام أو حتى يفيض .

قال المبرد: ((إنّ كلَّ موضعٍ تصلحُ فيه ((حتى)) و(إلا أنْ) فالنصب جائز جيد إذا أردت هذا المعنى والعطف على ما قبله مستعملٌ في كل موضع))[51]

وفي ختام هذا البحث يمكننا القول بأن السياب لم يخرج على الكلام العربي في استعمالاته لحرف ((أو)) العاطفة وقد جاء كلامه موافقاً للكلام العربي ولقواعد النحاة وقد جاءت (أو) عنده بمعان عديدة، والذي جعل السياب يجئ بـ (أو) لهذه المعاني العديدة امور منها: إقامة الوزن الشعري فكثيراً ما نراه يستعمل أو بمعنى الواو ولو استعمل ((الواو)) لاختل الوزن الشعري ،كما انّ شغف السياب بالغموض وميله الى الرمز جعله يأتي بحرفٍ مكان حرفٍ آخر فمثلاً أنه يأتي بـ ((أو)) مكان ((الواو)) و((بل)) و((إلاّ)) وغيرها توخياً للغموض الذي كان كثيراً ما يتقصده في شعره. كما أن اطلاع السياب على الاساليب العربية من خلال ثقافته العربية وتأثره بعمالقة الشعر العربي كأبي تمام والمتنبي والمعري جعله يأتي بحرف العطف ((أو)) لمعانٍ كثيرة ،جاءت في كلام العرب شعراً ونثراً وذكرها النحاة واللغويون.

الهوامش

1-ينظر: معاني الحروف للرماني:77،وشرح المفصل:100/8 ،ومغنى اللبيب 62/1،والاتقان:208/2

2-ينظر:معاني الحروف للرماني:77،ومغنى اللبيب:62/1

3-التوابع في كتاب سيبويه:69، وينظر: الكتاب:489/1

4-ينظر: الجنى الداني:245،مغنى اللبيب:61/1،الاتقان:207/2

5-ينظر:شرح المفصل:99/8

6-ينظر:نفسه:99/8

7-نفسه:100/8

8-ينظر:الجنى الداني:245

9-قسم دارسو شعر السياب شعره على ثلاثة مراحل (المرحلة الاولى وسموها الرومانسية والثانية وسموها مرحلة الالتزام والثالثة وسموها مرحلة ((الرجوع الى الذات أو مرحلة المرض))).

10-النحو الوافي:487/3

11-ينظر: معاني الحروف للرماني:77 ،ومغنى اللبيب:62/1

12-الديوان:407/1

13-نفسه:237/1

14-نفسه:615/1

15-نفسه:421/1

16-مغنى اللبيب:62/1

17-الديوان:474/1

18-نفسه:543/1

19-نفسه:554/1

20-نفسه:554/1،وينظر:536/1

21-الديوان:422/1

22--نفسه:397/1،وينظر:534/1

23-ينظر:الكاشف:81/1،وينظر:نتائج الفكر:253

24-ينظر:شرح الكافية:370/2،وشرح المفصل:99/8

25-الديوان:527/1

26-نفسه:691/1

27-نفسه:513/1،وينظر:702/1،650،480،479،459،372

28-ينظر:مغنى اللبيب:67/1

29-ينظر:شرح الكافي:370/2،وشرح المفصل:99/8

30-الديوان:440/1

31-نفسه:658/1

32-ينظر:أمالي المرتضى:55/2، وشرح المفصل:99/8 وخزانة الادب:424/4

33-أمالي المرتضى:55/2

34-شرح المفصل:100/8

35-الديوان:281/1، وينظر:390/1،365،335

36-مغنى اللبيب:65/1

37-الديوان:345/1

38-نفسه:692/1

39-نفسه:522/1 ،وينظر:550/1،535،484

40-ينظر:الخصائص:461/2، واعراب القرآن للنحاس:240/3 وارتشاف الضرب:639/2 وشرح الاشموني:424/2 والتسهيل:176، وهمع الهوامع:248/5

41-حروف العطف بين الدرس النحوي والاستعمال القرآني:217

42-الديوان:309/1

43-نفسه:282/1

44-نفسه:514/1

45-337/1

46-نفسه:320/1

47-نفسه:322/1

48-مغنى اللبيب:66/1

49-الديوان:145/1

50-نفسه:405/1

51-المقتضب:29/2

* شخنوب هو عامل الاسمنت الذي استأجره الفوضويون ،فتظاهر بالموت وحملوه في النعش تشهيراً بالجيش الذي يقتل العمال ،ثم فسقط ماشياً حين سقط النعش.

المصادر

1-الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت- 911 هـ)، تح :د.محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة /1974 م.

2-ارتشاف الضرب من لسان العرب، ابو حيان الاندلسي (ت-745هـ)، تح: د. مصطفى احمد النماس، ط1 ، مطبعة المدني، القاهرة/ 1984م.

3-اعراب القرآن ،لأبي جعفر النحاس (ت338 ه),تح: د. زهير غازي الزاهد ، مطبعة العاني / بغداد 1977 م

4-أمالي المرتضى((غرر الفوائد ودر القلائد)) , الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت-436ه), تح:محمد ابو الفضل ابراهيم ,ط1،مصر 1954م

5-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ،لابن مالك (ت-672هـ) ، تحقيق: محمد كامل بركات، مصر/1967م.

6-التوابع في كتاب سيبويه،د. عدنان محمد سلمان ،كلية الاداب-جامعة بغداد /1991م

7-الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي (ت-749هـ) ،تح :طه محسن ،دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل/1976م.

8-حروف العطف بين الدرس النحوي والاستعمال القرآني، عبد الستار مهدي الشيخ علي، رسالة دكتوراه بالآلة الكاتبة، كلية اللآداب- جامعة بغداد/1995م.

9-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(ت- 1093هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة/ 1967م.

10-الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، ط2 ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت (د ت).

11-ديوان بدر شاكر السياب (المجموعة الكاملة) ، المجلد الاول، دار العودة ، بيروت/1971م، والمجلد الثاني، دار العودة، بيروت/1974م.

12-شرح الاشموني على الفية ابن مالك، للاشموني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1،دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان/1955م.

13-شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، رضي الدين الاستربادي، دار الكتب العلمية- بيروت (دت)

14-شرح المفصل ،ابن يعيش النحوي (ت-643هـ) عالم الكتب ،بيروت، مكتبة المتنبي- القاهرة (دت).

15-الكتاب، سيبويه (ت-180هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.

16-الكشاف، الزمخشري، (ت538ه) دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، (د.ت).

17-معاني الحروف، ابو الحسن علي الرماني، تح: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ط2، دار الشروق- جدة/1984م.
18- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري،(ت661ه) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني المصرية، (د.ت).
19- المقتضب ،المبرد، (286) تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتاب، بيروت، (د.ت).
20-نتائج الفكرفي النحو ،السهيلي(ت-581ه)،تح:محد ابراهيم البنا،منشورات جامعة قاريونس مطابع الشروق -بيروت-لبنان /1978م
21-النحو الوافي، عباس حسن ،ط4 ،دار المعارف- مصر/1976م.
22-همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين السيوطي، (ت 911ه)دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، (د.ت).